

الوافي في الوفيات

بالساحل النامي روائح نشره ... عن روضه المتضوّع المتأرجح .
واليمّ زاهٍ قد جرى تياره ... من بعد طول تقلُّق وتموّج .
طوراً يدغدغه النسيم وتارةً ... يكرى فتوقظه بنات الخرج .
والبدر قد ألقى سنا أنواره ... في لجّته المتجعّد المتديبّج .
فكأنه إذ قدّصفحة متنه ... بشعاعه المتوقّد المتوهّج .
نهر تكوّن من نضارٍ يانعٍ ... يجري على أرضٍ من الفيروزج .
فكتب إليه ابن بصاقه : وأما الأبيات الجميّة الجمّة المعاني المحكمة المباني
المعويّدة بالسبع المثاني فإنها حسنة النظم بعيدة المرام متقدمة على شعر الجاهلية
ومن عاصرها في الإسلام . قد أخذت بمجامع القلوب في الإبداع واستولت على المحاسن فهي نزهة
الأبصار والأسماع ولعبت بالعقول لعب الشّمول . إلا أن تلك خرقاء وهذه صناع . فإذا اعتبرت
ألفاظها كانت درّاً منظوماً وإذا اختبرت معانيها كانت رحيقاً مختوماً . جلّات بعلوّها
عن المعاني المطروقة والمعاني المسروقة ودلّات بعلوّها أنها من نظم الملوك لا السّوقة
. فلو وجدها ابن المعتز لألقى زورقه الفضة في نهرها وألقى حمولته العنبر في بحرها
وألفى تشبيهاً بأسرها في أسرها . ولو لقيها ابن حمدان لاغتمّ في قوس الغمام وانبرى بري
السهام وتعطّى من أذيال غلائله المصبغة بذيل الظلام . ولو سمعها امرؤ القيس لعلم أن
فكرته قاصرة وكرّته خاسرة وأيقن أن وحوشه غير مكسورة وأن عقابه غير كاسرة . فأين
الجزع الذي لم يثقب من الدر الذي قد تنظّم ؟ وأين ذلك الحشف البالي من هذا الشرف
العالي ؟ وإلى تعالى يكفي خاطر الذي سمح بها عين الكمال الشحيحة ويشفي القلوب العليلة
بما روته هذه الأبيات الصحيحة . ومن شعر الملك الناصر : من الخفيف .
صبّحاني بوجهه القمريّ ... وأصبحاني بالسلسيل الرويّ .
بدر ليلٍ يسعى بشمس نهارٍ ... فشهيّ ينابنا بشهيّ .
وأعجبا لاجتماع شمسٍ وبدرٍ ... في سنائي سنا كمالٍ بهيّ .
منها : .
إن تبدّت بوجهها ذهبياً ... قلت : هذا من وجهه الفضّيّ .
منها : .
يا ولوعاً بالنّيل أصميت قلبي ... بسهامٍ من لحظك البابليّ .
رشقته من حاجبك سهامٍ ... منبضاتٍ أحسن بها من قسيّ .

ومن شعره : من الكامل .

لو عاينت عيناك حسن معذِّبي ... ما لمتني ولكنك أول من عذر .

عين الرِّشاشا قدِّ القنا ردف الذِّقا ... شعر الدُّجى شمس الضُّحى وجه القمر .

قلت : كذا نقلته من خطِّ موثوقٍ به والظاهر أنه : نور الضحى وإلا فشمس الضحى ما له معنى

. ومما نسب إلى الناصر داود وهو غاية : من الخفيف .

بأبي أهيفُ إذا رمت منه ... لثم ثغرٍ يصدُّني عن مرامي .

قد حمى خدَّه بسور عذارٍ ... مقلته أضحى عليه مرامي .

ونسب إليه أيضاً : من الطويل .

تراخيت عني حين جدَّ بي الهوى ... وجرَّبت صبري عندما نفذ الصبر .

فلو عاينت عيناك في الليل حالتي ... وقد هزَّني شوقٌ وأقلقني فكر .

رأيت سليماً في ثياب مسلِّمٍ ... ومستشعراً قد ضمَّ شرسوفه الشعر .

ومن شعره : من الطويل .

إذا عاينت عيناى أعلام جلِّقٍ ... وبان من القصر المشيد قبا به .

تيقَّنت أنَّ البين قد بان والذِّوى ... نأى شخصها والعيش عاش شبا به .

ومنه : من الكامل .

طرفي وقلبي قاتلٌ وشهيد ... ودمي على خدِّيك منه شهود .

يا أيها الرشأ الذي لحظاته ... كم دونهنَّ صوارمٌ وأسود .

من لي بطيفك بعد ما منع الكرى ... عن ناظريَّ البعد والتسهيد .

وأما وحبِّك لست أضمر توبةً ... عن صوتي ودع الفؤاد يبيد .

وألذُّ ما لاقيت فيك منيَّتي ... وأقلُّ ما بالنفس فيك أجود .

ومن العجائب أن قلبك لم يلن ... لي والحديد ألاله داود